مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print)ISSN 2521-3954 (Online)

في التَّسْلِيمِ لِلْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ

سِيْمِيَائِيَّةُ الإصْلَاحِ وَسِرُّ التَّأثِيْرِ بِالْمُتَلَقِّي عِنْدَ الإمَامِ الحُسَيْنِ عليه السلام

رياض مصطفى عثمان [1]
١ الجامعة اللبنانيّة / كلية الآداب/ قسم اللُّغة العربيّة, لبنان؛ riadosman@hotmail.com
دكتوراه في اللُّغة العربيّة / أستاذ

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٣/٢/١	٢٠٢٣/٢/٢٧	٢٠٢٣/٣/٣١

المجلــد (١٣) العــدد (٢٥)
رمضان ١٤٤٤هـ-آذار٢٠٢٣م

DOI: 10.55568/t.v13i25.135-159

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

برز الإصلاح جليًّا في فكر الإمام الحسين ، ولا سيّما أنّه ميزة إنسانية وإيمانية، فبحثُ الدارسون من زوايا كثيرة ، لكنّ هذه الدراسة تروم تثمينه لغوّيًّا وسميائيًّا استنادًا إلى ما سبق في ضوء أقواله المختارة المتعلقة بالموضوع وفلكه العام، انطلاقًا من دراسة البنية الباطنية للذهنيّة الحسينيّة التي تنتمي إلى أطهر أرومة ، كما هدفت إلى رصد أهميّة كلمات الأقوال المأثورة التي وضعها الإمام عليه السلام لمعرفة قوّة تأثيره بالمتلقّي، من طريق إبراز الملامح اللغويّة والأسلوبيّة لدعوته الإصلاحيّة.

تحمل الدراسة إشكالية إبراز التحدّيات اللغويّة التأثيرية في ديمومة ثبات مأثورات الإمام عليه السلام واستمرار تأثيرها في الأتباع. إذ دارت في إطار المدوّنة المدروسة، ملتفّة حول الإشكاليّة في طَرْق عناصر الفكرة التي انطلقت من تعريف الإصلاح لغةً واصطلاحًا ثمَّ الإصلاح في القرآن الكريم، ومأثور المفكرين فالمجتمع ، لتعرّج إلى الوقوف على أنواعه وعناصره والأسباب الدافعة إليه .

كما بدت متجلّية في خطاب الإمام عليه السلام لتتوقّف نظرة التحليل عند الإصلاح عنده في ضوء أقواله ومأثوراته ومبادئه وارتباط ذلك بنفسيّة المصلح. ولا يتأتّى ذلك إلّا من خلال تحليل خطابه أسلوبيًّا وسميائيًا ليتوقّف الدرس بين الأسلوبيّة والسميائيّة ثم بين السميائية والشعرية ، فسميائيّة الإصلاح ، مرورا بسميائية التناص الديني والإصلاح للوصول إلى خلاصة عامّة عن سميائيّة الإصلاح ، ارتأت فيها الدراسة خوض ما أهلمه غيرها، وما انشغل به إلى سواه، فرغبت في استحداث دراسة الموضوع بنظرة جديدة ومن زاوية مختلفة، تهدف إلى إبراز وضوح الرؤيا في الاتجاهين، بين الملقي والمتلقّي وتحليل الخطاب سميائيًا، لمقياس قيمة المرسلة بين المرسل والمرسل إليه.

فبدت جليّة في سميائيّة الخطاب وسرّ التأثير وما لها من سميائيّة تأثيريّة ترمي إلى تحفيز الخطاب بسميائيّة السرد الذي عنونته بالسمياء وقوّة الانتماء، فخلصت إلى أن قوة التأثير ناجمة عن قوة تطابق قيمة المرسِل مع المرسَل إليه ، بمعنى أنّ الإمام اتّحدت فيه صفتا المرسِل والمرسَل إليه في اتخاذه دوري الحاكم والمحكوم في آن واحد، الراعي والرعية، فجاء صدق المرسلة أكثر تأثيرًا من باب الصدق مع الذات .

الكلمات المفتاحية: إصلاح ، سميائية ، قوة التأثير ، وقوّة الانتماء.

Semiotics of Reform and Impact Code on Interlocutor for Imam Al-Hussein

Riyadh Mustafa Othman[1]

1 Lebanese University / College of Arts / Department of Arabic,Lebanon;

riadosman@hotmail.com

PhD in Arabic Language / Professor

Received:	Accepted:	Published:
1/2/2023	27/2/2023	31/3/2023

DOI: 10.55568/t.v13i25.135-159 | Volume (**13**) Issue (**25**) | Ramadan 1444 H March 2023

Abstract:

The reform is quite evident in the thought of Imam Hussein, especially as it is a human and faith feature, so the scholars dealt with it from many angles . But the current study aims to value it from semiotic and linguistic perspectives based on his selected speeches and on the study of the innermost Husseinist mental orbit that pertains to the most sacred ancestry . Moreover, it targets to trace its impact on the interlocutor by having eight speeches , the imam utters, laden with stylistic and linguistic aspects to call for reform.

The study endeavours to show the depth of the influential linguistic challenges that immortalize the speeches of the imam and continue their influentiality on the Ahalalbayt adherents . Throughout the paper there is a survey of the definition of " reform" linguistically and idiomatically , an investigation of such a word in the Glorious Qur'an , the sayings of the thinkers , the society and a discussion on its types, elements and importance The " reform" appears in the speech of the Imam to have many missions and messages and tends to be traceable through the analysis of his speech stylistically and semiotically to focus on both stylistics and semiotics and then between semiotics and poeticism , through the semiotics reform, to the semiotics of religious intertextuality and reform to reach a general conclusion on the semiotics of reform, in which the study decided to adopt a untrodden land from different viewpoints . Such is to throw light on the nexus between the addresser and the addressee and to explicate the discourse semiotically to weight the value of the communication.

It was evident in the semiotics of the discourse and the secret of the influence and its semiotics of influence that aims at stimulating the discourse with the

semiotics of the narrative, as entitled " semiotics and power of belonging" . So I concluded that the power of influence emanates from the strength of interacting between the addresser and the addressee : the imam dominates both the qualities of the addresser and the addressee as he takes the role of the ruler and the ruled at the same time, the shepherd and the shepherded , that is why the message was so powerful and influential on the basis of self-honesty .

Keywords: reform, semiotics, influence power, power of belonging.

مهاد أوّل

الإصلاح فطرة إنسانيّة تدفع الفرد إلى أن يحسّن أوضاعه وأوضاع مجتمعه وَفْقَ ثقافته وتربيته وتطلّعاته. والتعبير عنه شكلٌ من أشكال الأدب، وفنٌّ خاصّ يمثّل هُويّة كلّ قائل، فهو كأيٍّ أدب خالد بإرشاداته وتقديم نصحه، وتبيان وجعه وحسرته، إذ يمثّل خصوصيّة القِيم الإنسانيّة المغروسةِ في ذهنِ المتكلم، وتوجيهه إلى مؤيديه ومحبّيه، فهو توجيه ذو فائدة تهدف إلى غرس البطانة السّليمة حيث تشكّل إجماع رغائب المحبين ومصالحهم الدنيوية والأخروية، فإنْ يجد القبول يلقَ ردّةَ فعلٍ إيجابيةٍ من المتلقي ، فتتضافر الجهود ويزكو التعاون، فترسو قواربُه.

١ .موضوع الدراسة

يأتي ذلك في تبيان ملامح الأسلوبيّة العامّة والخصوصيّة اللغويّة عند الإمام الحسين، وذلك من طريق تحليل الخطاب، حيث تكون سلطة كلمات القول المأثور مدخلاً لأسلوب القائل، والمضمون الذي يتجلّى في : صدق الانتماء وعظيم الثقافة التي يمتكلها أسلوبه المتميّز في إيصال الفكرة المحفّزة الرائدة، في ضوء فنيّة النّص والدفع به نحو الخلود، بطرْقِ بابِ السيمائيّة اللغويّة، لكي تمهدًا جيّداً لحُسن الولاء.

والدعوة إليه بمنزلة دستور شعبيّ تنطلي حوله المواقف وتلتفّ الرؤى والتطلّعات في المجتمع السليم ولا سيما إذا كان يُشيع التّقى والورع ويبثّ أثراً من نصيبَيْ الدنيا والآخرة،فما بالك إذا كان نابعًا من قلب من أحبّ وحدة المجتمع ومناصرة المظلوم ومحاربة الظلم! نابعاً من قلب سبط طاهر يحبّ أرضه وقومه وفق مبادئ الدين واللُّغة وحبّ الأرض وموضع الميلاد!، وما بالك إذا كان الإمام الحسين عليه السلام[١] * قائلا :" إنما خرجت من أجل الإصلاح في أمة جدي رسول الله" [٢] ؟. فلم يكن الإصلاح نزوة أو فكرة عابرة مبنيّة على المصالح الشخصيّة، فكانت من أجل الإصلاح المتحلّي بالحكمة والموعظة الحسنة المنبنية على روح النبوّة.

---

١ ويكيبيديا, "الحسين بن علي," د.ت.,الحسين_بن_علي.

٢ مؤسسة الإمام الصادق, موسوعة أصحاب الفقهاء القرن الهجري الأول (قم المقدسة, د.ت. ٧/ ١١).

* هو أبو عبد الله الحُسين بن علي بن أبي طالب (٣ شعبان ٤ هـ - ١٠ محرم ٦١ هـ / ٨ يناير ٦٢٦ م - ١٠ أكتوبر ٦٨٠ م) هو سبط الرسول محمّد، وصَحابيّ، أطلق عليه النبي محمّد لقب سيد شباب أهل الجنة فقال: "الحَسَنَ والحُسَيْنَ سيِّدا شباب أَهْلِ الجَنَّةِ"، وهو خامس أصحاب الكساء. ولد في شهر شعبان سنة ٤ هـ، بويع أخوه بالخلافة، واستمر خليفة للمسلمين نحو ثمانيَة أشهَر .

فهو من أعظم الشخصيّات التي حملت راية الدفاع عن الإصلاح والعدل في تاريخنا المجيد، إذ تجلّى ذلك في خُطَبِه ومواقفِه ودعائِه، ومسيرة حياته ومفاصل أقواله، محذّرا من مغبّة الظلم، وسوء عاقبته المؤدّية إلى الفساد الذي يؤدّي إلى تدمير المجتمعات. فكانت دعوته إلى التغيير من أجل الإصلاح، فوسمتها بـ : سميائيّة الإصلاح وسرّ التأثير بالمتلقّي عند الإمام الحسين عليه السلام. أردتّ بها أن تتّسم بالموضوعية على وفق المناهج الحديثة، لتسلّط الضوء على سرٍّ واحدٍ تدركه عين العاديّ في الأسلوب اللغوي وتحليل الخطاب سميائيًّا، وتترك سائر الأسرار الغيبية لأهلها.

ولا بدّ من الوصول إلى تحقيق تلك الدعوة أن تجتمع أمور عدّة، أهمّها الإصلاح بالقول واللسان والقول والعمل، وذلك أضعف الإيمان، لإشاعة العدل والإنصاف.

ولا يكون ذلك إلّا بتضافر مجموعة عوامل مؤسِّسة، تنْبَنِي عليها الرؤى، وتنطلق منها المبادئ، تتمثّل في:

١ .الاقتناع بأنّ أوّل الإصلاح ينبع من نفس الشخص ودخيلته، لا بالتلقين والاكتساب.

٢ .ترسيخ القيم الإسلامية السمحة.

٣ .اتّساع صدر الشخص بمعاني العدل.

٤ .تعزيز روح الوحدة والاجتماع لا الشرذمة والتفريق

وهذا ليس غريبًا عن شخصية فذّة خلّدها التاريخ على الرغم من قصر المدة التي تولّى فيه خليفة مدة الحكم ، اقتناعًا بأنّ الإصلاح يتطلب مدة زمنية، ليست بالقليلة، إلّا أنّ ما يلفت النظر فيها ، سطوع الخط العريض للإصلاح ، في ضوء ما بحثه الدارسون ، مثل ما كتبه:

١ .الدكتور نبيل مرعي: دراسة الثورة الحسينيّة ، ودورها في تأسيس الأخلاق الإسلاميّة التي تناولت تأثير ثورة الإمام الحسين ﷺ في وضع أسس الإصلاح .

٢ .الدكتور عبد الرحمن الطويل : مفهوم العدالة في السيرة الحسينية، التي ألمحت إلى العدالة والإنصاف في شخصي الإمام الحسين ﷺ ودورها في بناء المجتمع العادل.

وخلال الاستئناس بها، ارتأيت خوض ما انشغل به غيري إلى سواه، فرغبت في

استحداث دراسة الموضوع، بنظرةٍ جديدةٍ ومن زاوية مختلفة، تهدف إلى إبراز وضوح الرؤيا في الاتجاهين، بين الملقّي والمتلقّي وتحليل الخطاب سميائيًا.

٢.محور الدراسة

تدور محاور الدّراسة حول نقاطٍ أساسيّةٍ في فكر الإمام الحسينﷺ الإصلاحي من أجل تفكيك عُرى اللفظ، وتحليل بنية التراكيب للدخول إلى عالم الدلالة ، وإلى ما وراء الدلالة لإظهار سمياء التداوليّة المبنيّة على تحليل عناصر الحالة الشخصيّة لدى الإمامﷺ بالحالة الدلاليّة في سياق النص، فضلاً عن مرامي القصد غير اللغوي المستنبط من إيحاءات خاصّيتي: القصد والفهم.

٣.الهدف منها

والهدفُ منها رصدُ أهميّة كلمات الأقوال المأثورة التي وضعها الإمامﷺ لمعرفة قوّة تأثيره، من طريق إبراز الملامح اللغويّة والأسلوبيّة لدعوته الإصلاحيّة.

٤.المشكلة المطروحة

حملت الدراسة إشكاليّة الرصد عن دعم فكرة الإصلاح نفسيًّا وفلسفيًّا في ظل إشباع النفس الباطنة لدى الملقي باللُّغة وقوّة التعبير والاحتجاج بالاستدلال لكشف مكامن قوّة التأثير العاطفيّة وصدقِ الولاءِ للفكرة، بلغةٍ صادقةٍ مكثّفة بليغةٍ وما هي التحدّيات اللغويّة التأثيريّة في ديمومة ثبات مأثورات الإمام واستمرار تأثيرها في الأتباع؟

٥.مدوّنة الدراسة

هي مجموعة مختارة من أقوال الإمام الحسين ﷺ عن الإصلاح ، أو ما يدور في فلكه/ كما يأتي :

أ-"إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّةِ جدي وأريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر."

ب-"ألا إنّما جئت لأريَ الحقّ وأمشي في طريق جدي، وإنّما أريد أن أصلح في أمّة جدي، وأريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر."

ج- "ما أنا إلاّ رائد ناشد الإصلاح في أمّة جدي."

د-لا يبقى للحق إلا النصر. لتبقى إرثًا حاضرًا في مناصرة الإصلاح والانتصار للحق ومناوءة الظلم

هـ-" أيّها الناس نافِسوا في المكارم وسارعوا في المغانِم".

و-" أصبحتُ ولِيَ ربٌّ فوقي، والنار أمامي والموت يطلبني والحساب محدقٌ بي، وأنا مُرتهنٌ بعملي، لا أجد ما أحبّ، ولا أدفع ما أكره، والأمور بيد غيري، فإن شاءَ عذّبني، وإن شاء عفا عنّي، فأيّ فقير أفقر منّي؟.

ز-ألا ترونَ أن الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا بَرَما.

تتضمّن هذه الأقوال الرسالة الرئيسة لما كان يسعى إليه الإمام الحسين ﷺ من الإصلاح في الأمّة، وهي تأكيد على الرغبة في تحقيق العدالة وإقامة المعروف والنهي عن المنكر، وعلى أهمية محاربة الفساد والظلم والبطر والشرك والتمسك بالحق والتضحية من أجله، حتى وإن كان ذلك يعني الموت أو التضحية بأعزّ الأشياء لديه.

فضلا على ذلك، يمكن دراسة مواقف الإمام الحسين ﷺ وأفعاله التي اتخذها في سبيل تحقيق الإصلاح، والتي تضمنت مواجهة الظلم والفساد والتضحية بالنفس والعائلة والأصدقاء، ممّا يوضح التزامه بالمبادئ الإنسانية والدينية الرفيعة، وإيمانه بأنّ تحقيق الإصلاح يستلزم الثبات على الحق والتضحية من أجله.

أولاً: تعريف الإصلاح

١ .الإصلاح لغةً واصطلاحًا

الإصلاح" مجموعة الأنشطة التي تهدف إلى إعادة التنظيم، من أجل الوصول إلى مستوى أفضل "[٣]، ويعني تغيير أو تعديل الحالة. فهو جوهر استقامة حياة الفرد والمجتمع، سواء في السياسة والاقتصاد أو الأخلاق والقيم الاجتماعية. ويمكن تطبيق مبادئه على الخطاب أوّلًا لتعزيز التواصل الفعال والفهم الصحيح بين الناس، منطلقه الأقوال ليصلَ إلى الأفعال.

وهو بالنسبة للفساد، مرتبط بجهود تصحيح الأوضاع المفسدة أو المنحرفة وتحسينها.

٣ معنى إصلاح في معجم المعاني الجامع، "معجم المعاني," د.ت., https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/إصلاح .

ويعبّر عن عملية تهدف إلى إعادة النظام والعدالة والنزاهة إلى المؤسسات والمجتمعات المتأثرة بالفساد ليركتز على تعزيز الشفافية في صنع القرار وإدارة الموارد العامة.

وهو بالنسبة للظلم، جهودٌ موجّهة لمحاربته في المجتمع. في هذا السياق، يكمن الإصلاح في محاولة تغيير النظام أو الهيكل الذي يفرز الظلم ويتيح حدوثه.

فضلا على ذلك، يمكن أن يشمل الإصلاح تغيير الثقافة والمفاهيم الخاطئة التي تسهم في مناصرة الظلم، وتعزيز الوعي بالقيم العادلة وحقوق الإنسان. ويهدف إلى تعزيز الحوار والتفاهم والتعاون بين الأفراد والمجتمعات لمواجهة الظلم ومكافحته، وهو جوهر استند إليه الوحي، فجاء ذكره في القرآن الكريم في سياق خطورة تفشيه.

٢.الإصلاح في القرآن الكريم

لم يأتِ لفظ الإصلاح صريحًا بهذه الصيغة على إفعال ، إنما بصيغ مختلفة ودلالات متنوعة منه، قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[سورة هود ١١٧]﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال٣٥] .

يدعو الله تعالى المؤمنين إلى مساندة العدل والإصلاح في جميع جوانب الحياة، سواء كانت في العلاقات الشخصية أو المجتمعية أو السياسية.

وفيما يأتي بعض الآيات القرآنية التي تتحدّث عن الإصلاح:

قال تعالى: "﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾"[البقرة ١١]

تدعو هذه الآية إلى عدم إفساد الأرض والمحافظة على النظام والسلام. ويجب على المسلمين أن يكونوا من المصلحين في المجتمع ويعملوا على تحقيق الخير والعدل.

قال تعالى: "﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾" سورة الشورى [الآية ٣٩]

تشجع هذه الآية على مواجهة الظلم والاضطهاد، والدفاع عن الحق والعدل في وجه الظالمين. ويجب أن يكون المسلمون نشطاء في الإصلاح ويقفون ضد الظلم والفساد.

قال تعالى:"﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ

وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾. [الحج ٤١]

وبعد ذلك ورد ما يشير إلى الإصلاح من طريق ذكر الظلم الذي يُعدّ من الموضوعات المهمة التي تمّ ذكرها في القرآن الكريم، وهو ما يدلّ على حساسيتها في الإسلام وضرورة تجنّبها. وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم الظلمَ في عدّة آيات، منها:

قال الله تعالى في سورة المائدة ١٠٨ : "﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾".

وفي سورة النحل ٩٠ ذكر الله تعالى: "﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾".

سورة ال عمران ٥٧ذكر الله تعالى: "﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾".

وفي سورة الشورى الفرقان ١٩ ذكر الله تعالى: "﴿وَمَن يَظْلِمْ مِنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾".

٣.الإصلاح في مأثور المفكرين

نظرًا لأهمية الإصلاح فقد شغل فكر المفكرين الاجتماعيين والسياسيين وغيرهم في فسلفات خلّدها التاريخ، تضاف إلى مأثورات الإمام ﷺ ومن سبقه ومن جاء من بعده، فصارت نبراسًا إنساسيًا يضمن حقّ من حمل مشعله نبراسًا يُحتذى به، فلا بدّ من وجود من جاء متأخرًا من أن يتأثّر بأفكاره وأقواله ومآثره ، وإن لم يتأثّر به يتشابه معه في توارد خواطر إنسانية في إشارة إلى رصد من تأثّر به واقتبس عنه واقتدى به. وهناك العديد من الأقوال الخالدة في التاريخ عن الإصلاح، ومنها:

أ-"لا يتم الإصلاح بإزالة الجزئيات، بل بتغيير المفاهيم والأفكار" – مالك بن نبي

ب-"إن أردتّ أن تصلح العالم، فابدأ بتغيير نفسك" – غاندي

ج-"الإصلاح الحقيقي يبدأ من النفس، وينبغي أن ينتشر من الأفراد إلى المجتمع" – مصطفى السباعي

د-"الإصلاح ليس فرصة للتحكم في الآخرين، بل فرصة لتحسين الذات والعمل على تغيير السلبيات في الواقع" – علي شريعتي

٤. الإصلاح في المجتمع

ممّا سبق، نجد أنّ فكرة الإصلاح تتمحور حول تحسين الوضع القائم في المجالات المختلفة، سواء كان ذلك في المجال السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو الثقافي، أو الديني، أو أي مجال آخر يتطلّب التحسين والتغيير. وكثيرة ما تأتي فكرة الإصلاح نتيجة للرغبة في تغيير الوضع القائم الذي يعاني مشكلات وتحديات.

أمّا فيما يتعلّق بالدعوة إلى الإصلاح، فإنّها تنبع من أمورٍ، منها:

أ-تحليل الوضع القائم: يتضمّن ذلك دراسة الوضع الراهن، وتحديد المشكلات والتحدّيات التي يواجهها، وتحديد أسباب هذه المشكلات.

ب-وضع رؤية واضحة: تشمل هذه المرحلة وضع رؤية واضحة للمستقبل، وتحديد الأهداف التي يجب تحقيقها، وتحديد الإجراءات التي يجب اتخاذها لتحقيق تلك الأهداف.

ج-تشكيل فريق الدعوة: يتمثّل في تجميع فريق من الأشخاص الذين يتشاركون في الرؤية والأهداف، ويسعون إلى تحقيق التغيير المرجوّ.

د-توعية الجمهور: يشمل اطّلاع النّاس على الوضع القائم وأهميّة الإصلاح، وتوضيح فوائد الإصلاح وكيف يمكن أن يساعد في تحسين الوضع القائم.

ه-التنظيم والتخطيط: يتعلّق هذا بتنظيم الأنشطة والأحداث التي تهدف إلى تحقيق الإصلاح، وتخطيطها بطريقةٍ فعّالةٍ واستراتيجية.

و-العمل الجماعي: يشمل ذلك العمل الجماعي بين الفريق المنظّم والجمهور، وتشجيع المشاركة والمساهمة في تحقيق أسسه.

ثانيًا : أنواع الإصلاح

ولم يكن الإصلاح مقتصرًا على مجالٍ دون سواه ، بل تنوّعت متشعّباته لتتضافر مجتمعةً على رسم صورة مثالية شاملة. ومن أنواعه:

أ-إصلاح الأفكار: وهو أول مبدأ ناجح ينطلق من إصلاح النفوس، ولا سيّما مبدأ نبذ العنف والتطرّف، بتقديم البدائل العلمية المقنعة الموثوقة.

ب-إصلاح المؤسّسات: بالعمل على تغيير النهج والسياسات السائدة، بطريق تحسين الأداء إنفاذًا للكفاءة والشفافية.

ج-إصلاح القوانين والنظم: وتشمل إعادة النظر في ما يسنّ من تشريعات وأنظمة إرضاء لربّ العباد وتيسيرًا للعباد، على مبدأ المساواة.

د-إصلاح الاقتصاد: ويكون في إطلاق عجلة التنمية وتوفير فرص الرفاهية والبنى التحتية للمجتمع .

ثالثًا : الأسباب الدافعة إلى الإصلاح

كان عصر الإمام الحسين عليه السلام مليئًا بالخلافات والمشاكل على المستويين: السياسي والاجتماعي. ومن أبرزها:

أ-الانقسام السياسي: كان هناك انقسام سياسيّ حادّ بين مجموعاتٍ متعددة في الدولة الإسلامية وقتذاك، كانت تتنافس على السلطة والنفوذ، وكان هذا الانقسام يؤدي إلى الفساد والظلم في الحكم والإدارة.

ب-الفساد والظلم: كانت هناك مشاكل كثيرة في الحكم والإدارة السياسية والاجتماعية، مثل الفساد والرشوة والاستبداد والظلم، وكان الشعب يعاني من ذلك بشكل كبير.

ج-التمييز والعنصرية: كان هناك تمييز بين الناس بسبب الأصل والعرق والطائفة، وكانت هناك أيضًا عنصرية تجاه الناس الذين لم ينتموا إلى العربيّة أو إلى أحد الأعراق الرئيسة في المنطقة.

تلك كانت بعض الخلافات والمشاكل التي كانت تؤثّر على المجتمع في عصر الإمام الحسين عليه السلام، وكان يسعى إلى الإصلاح والعدالة والحق، وكان يعدُّ الاستسلام للظلم

والجور هو أسوأ شيء يمكن أن يفعله المسلم. وقد وردت العديد من الأحاديث النبوية والأقوال الحكيمة في هذا الصدد، مثل قول النبي ﷺ "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا" ، والظالم في ظلمه مظلوم يوم القيامة"، و "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. يُعدُّ الإمام الحسين﵇ قدوةً حسنةً في التصدي للظلم والاضطهاد، ويدعونا حتى اليوم إلى الثورة ضد الظلم والفساد والركون إلى الإصلاح في المجتمع. فقد قال الإمام الحسين ﵇"لا يبقى للحق إلّا النصر. لتبقى إرثًا حاضرًا في مناصرة الإصلاح والانتصار للحق ومناوءة الظلم.

تجلّيات الإصلاح

يأتي ذلك من خلال تعزيز السياسة والملك اللذين هما – كما ذكر ابن خلدون – : "كفالةٌ للخلقِ، وخلافةٌ لله في العبادِ لتنفيذِ أحكامِه فيهم بالخير ومراعاة المصالح"[٤].

تشكّل الدعوة إلى الإصلاح، لكلّ أمة ،إذاً، إجماعاً عامّاً لدى أبناء المجتمع ، بأطيافهم جميعها، من خلال تعزيز روح الإيمان ، وإشاعة المحبة وصون العدل ، ما يترك أثراً بارزاً لدى العامة في ضوء الإحاطة به من طريق احتضان المبادئ من أجل التدريب على الحياة الكريمة؛ لذلك تنوّعت صياغة كلّ خطاب؛ انطلاقاً من ظروف كلّ موقف، استناداً إلى معطيات الواقع والاستقرار والاستمرار، إذْ يقومُ على حسٍّ صادقٍ لدى كلّ مبدعٍ بعينه، ما يجعلني ابحث خطاب الإمام عليه السلام بحثا موضوعيًا لا عاطفيًا، قائما على التحليل السميائي، في ضوء دراسة معطيات النصّ المدروس وما يحيط به من هالة دلالية وسميائية.

فصلاحُ المجتمع يقوم على صلاح الفرد، ثمّ صلاح الحاكم والوالي، ويتجلّى ذلك في كلّ مفارق حياته قولًا وعملًا، ولا سيما المبدع المخلص المرشد ذو الحسّ البنّاء، وصاحب القدرة على التأثير، ما يستدعي من الدارس أن يحلّل الخطاب وتفكيك شعريّة السرد في القول والأثر، وفي هذا مسوّغ لتحليل أقوال الإمام الحسين ﵇ المتعلقة بالإصلاح والممهّدة له، وما يصبّ في فلكه ومترادفاته.

٤ عبد الرحمن ,ابن خلدون, مقدمة ابن خلدون, اعتناء ودراسة احمد الزعبي, ط١ (بيروت: دار الأرقم ابن الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع, ٢٠٠١), ١٧٢.

رابعًا : الإصلاح عند الإمام الحسين ﷺ

يرتكز الإصلاح على مبادئ داخلية وخارجية وعامة ، منها :

١ .مبادئه

يشار إلى أنّ الإصلاح عمليّة تحسين الأشياء أو تغييرها للأفضل، وقد يشمل العمليّة تغيير سلوكيّات أو عادات أو أفكار سيّئة، ويتطلّب ذلك جهدًا وإرادة قويتين. يمكن أن يؤثر الإصلاح على نفسيّة المصلح بطرائق متعدّدة:

أ-زيادة الثقة بالنفس: قد يشعر المصلح بالفخر والثقة بالنفس بعد إحراز تقدّم في الإصلاح، وهذا يمكن أن يؤدّي إلى تحسين الصحّة النفسيّة.

ب-تقليل الشعور بالذنب: قد يعاني المصلح من شعورٍ بالذنب بسبب السلوكيات أو الأفكار السيّئة التي يحاول التغلّب عليها. ومع تحقيق التقدم في الإصلاح، يمكن أن يقلّل هذا الشعور بالذنب.

ج-تحسين العلاقات: يمكن أن يساعد الإصلاح على تحسين العلاقات الاجتماعيّة، سواء كانت شخصيّة أو اجتماعيّة، وهذا يمكن أن يؤثّر إيجابيًا على الصحّة النفسيّة.

د-تعزيز الرضى الذاتي: قد يشعر المصلح بالفخر والرضا عن الذات.

٢ .ارتباط الإصلاح بنفسيّة المصلح

يشير الإصلاح - في المفاهيم التي أعطيت له - إلى عملية تحسين الأوضاع أو تغييرها للأفضل، وقد يشمل تغيير سلوكيات أو عادات أو أفكار سيّئة، ويتطلّب ذلك جهدًا وإرادة قويتين. ويمكن أن يؤثّر الإصلاح في نفسيّة المصلح بطرائق متعددة، منها:

أ-زيادة الثقة بالنفس: قد يشعر المصلح بالفخر والثقة بالنفس بعد إحراز تقدّم في الإصلاح.

ب-تقليل الشعور بالذنب: قد يعاني المصلح من شعور بالذنب بسبب السلوكيات أو الأفكار السيئة التي يحاول التغلب عليها، ومع تحقيق التقدم في الإصلاح، يمكن أن يقلّل هذا الشعور بالذنب.

ج-تحسين العلاقات: يمكن أن يساعد الإصلاح على تحسين العلاقات الاجتماعية، سواء كانت شخصية أم اجتماعية، وهذا يمكن أن يؤثر إيجابيًا على الصحة النفسية.

د-تعزيز الرضا الذاتي: قد يشعر المصلح بالفخر والاكتفاء.

٣.التوفيق تطبيق في الإصلاح

يمكن للحاكم أن يكون موفقًا في الإصلاح من طريق اتّباع بعض النصائح والارشادات التي تساعده على تحقيق هدفه في الإصلاح، ومن هذه النصائح:

أ-الالتزام بالحق والعدل: يجب على الحاكم أن يكون ملتزمًا بالحقّ والعدل في كلّ تصرفاته وقراراته، وأن يحكم بالعدل بين النّاس من دون تحيّز أو تمييز.

ب-الاستماع للآراء المختلفة: يجب على الحاكم أن يكون مستعدًا لاستماع الآراء المختلفة والمتناقضة، وأن يتعامل معها بحكمة وتسامح، ويسعى لإيجاد الحلول الأفضل للمشاكل.

ج-التواصل الجيد: يجب على الحاكم أنْ يتواصل بشكلٍ جيدٍ معَ الناس، وأن يكون منفتحًا للحوار والنقاش، وأن يتعامل معهم بلباقة واحترام.

د-العمل الجاد: يجب على الحاكم أن يكون جادًا في عمله، وأن يسعى جاهدًا لتحقيق الأهداف التي وضعها لنفسه في الأصل .

لذا يعتمد تعامل أبناء الرعية الراغبين في الإصلاح تجاه الإمام على عدة عوامل، منها:

أ-الالتزام بالأدب والاحترام: يجب على أبناء الرعية الراغبين في الإصلاح أن يتعاملوا مع الإمام بالأدب والاحترام، وأن يكونوا مهذّبين في كلامهم وتصرفاتهم، وأن يحترموا مكانته وسلطته.

ب-التواصل الجيد: يجب على أبناء الرعية الراغبين في الإصلاح أن يتواصلوا بشكلٍ جيد مع الإمام، وأن يفتحوا له أبواب الحوار والنقاش، وأن يعبروا عن آرائهم ومقترحاتهم بصراحة ووضوح.

ج-الاحترام لقرارات الإمامﷺ: يجب على أبناء الرعية الراغبين في الإصلاح أن يحترموا قرارات الإمامﷺ، وأن يلتزموا بها وينفذوها، إلّا إذا كانت هناك مخالفات للشرع أو العدل في هذه القرارات.

د-المشاركة في العمل الإصلاحي: يجب على أبناء الرعية الراغبين في الإصلاح أن يشاركوا في العمل الإصلاحي بكل جِدٍّ واجتهاد، وأن يساهموا بما يستطيعون في تحقيق الأهداف المحددة للإصلاح.

ه-الدعاء والتضرّع إلى الله: يجب على أبناء الرعية الراغبين في الإصلاح أن يدعو الله عز وجل

بالتوفيق للإمام ﷺ في مهمته، وأن يستغيثوا به في كلّ مرحلة من مراحل العمل الإصلاحي، وأن يثقوا بأن الله هو الذي يقوّي الإمام ﷺ ويوفقه في إصلاحهم وتحقيق مصلحتهم.

نخلص إلى أنّ كلّ ما سبق فيما يتعلّق بالإصلاح يشكّل الإطار العام لجوّ الإصلاح في عصر الإمام الحسين ﷺ وبيئته وشخصيّته وخطابه، ما يستدعي أن تتعمق الدراسة في النظر تحليل أسلوب مأثوراته.

خامسًا: تحليل خطاب الإمام أسلوبيًّا وسميائيًا

إذا كان الخطاب محفوفًا بالسميائيّة فلا بدّ من أن يكون منطلقًا من الأسلوبيّة التي تحدّد أُطر السميائيّة العامّة في التمهيد لدراستها.

١ .أثر شخصيّة الإمام في أسلوب إلقاء الخطاب

بدا أثر شخصيّة الإمام ﷺ في النّص كبيراً في تعزيز روح الإصلاح، والحرص على نبذ الظلم، في ضوء رصّد خبراته النضاليّة والثقافيّة والدينيّة، فقوة الشخصيّة التي انماز بها من دون خوف أو وجل جعلته يُسقط عدم مخاوفه على خوفه على المجتمع في خطاب مباشر.

ولكي يكون الأمر حاسماً ابتعد الإمام ﷺ عن صياغة الشعارات البراقة الرنّانة، هذا يعني أن يكون للمتكلم قدر من السيطرة على الأشياء والأثر الذي تحدثه لغته الخيال اللغوي الذي يعرّفه أحدُهم " هو ملكة عقلية يفترض مقداراً من السيطرة لدى المتكلم "[٥]. فضلاً عن أنّها ملكة عقلية فإنّها ملكة شعرية لأنّ "الوظيفة الشعرية تنقل مبدأ التكافؤ من محور الاختيار إلى محور التأليف"[٦].

هذا ما يستدعي اللُّغة الانفعاليّة المباشرة التي يكون لها " توجه اجتماعي عندما تهدف إلى إثارة بعض الانفعال لدى المستمع أو تكون بمنزلة تفريغٍ انفعالي يتمّ من دون اكتراث بالمستمع "[٧] المنسجمة مع شخصية الملقي المندفعة.

من هنا تناوب خطاب الإمام مع شخصيته والتنويعات اللغوية والتعبيرية انطلاقاً من دلالتي الإصلاح والتسامح ، لتعبّر أصدق تعبير عمّا يجول في ذهنه ما ينسجم بصدق مع

٥ لوسركل, جان جاك, عنف اللُّغة, ترجمة. محمّد بدوي, ط٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة, ٢٠٠٦), ٢٢٨.
٦ فاولر, روجر, النقد اللسانيّ, ترجمة. عفاف البطاينة (بيروت: المنظمة العربيّة للترجمة, ٢٠١٢), ١٧٠.
٧ أن بافو, ماري, النظريات اللسانية الكبرى, ترجمة. محمّد الراضي, ط١ (بيروت: المنظمة العربيّة للترجمة, ٢٠١٢), ١٩٨.

قولـه وفعلـه ، وإلّا لمـا كان تأثـيره جذّابـاً ، يسـتقطب جمهـوراً عريضـاً ، وهـذا مـن أبـرز أهـداف الخطـاب القيـادي المؤثـر .

ولم يكـن خطابـه لنفسـه منفصـلاً عـن خطابـه لجمهـوره ومريديـه ، فـدار في دائـرة واحـدة أظهرهـا التحليـل -سـابقا- إذ تسـاوى المرسِـل مـع المرسَـل إليـه، وهـي صفـة القائد القدوة، والأسـوة الحسـنة.

وبهـذا يكـون قـد راعـى كثـيراً مـن التطلّعـات والأفـكار التـي " تمثّـل لعلاقـة متخيـل الأفـراد بالظـروف الواقعيّـة لوجودهـم" [٨]، ولا سـيّما إذا كانـت تمثّـل إذا كان الوجـود قائـمًا عـلى التنـوع، المنطلـق مـن قناعـة راسـخة، بحيـث يطلـق أفـكاره وقناعاتـه مـن دون خـوف أو خجـل، وبفكـر راسـخ، إذْ لاقـت قبـولًا كبـيرًا لـدى جمهـورٍ عريـضٍ ، انطلاقًـا مـن عموميّـات مبـادئ الديـن .

فـكان الإمـام الحسـين ﷺ يشـعر بالغضـب والحـزن لمـا رأى مـن الفسـاد والظلـم في المجتمـع الـذي كان يعيـش فيـه. وكان يـروي لأصحابـه وللنـاس مـا حـدث لهـم مـن الاضطهـاد والاسـتبداد عـلى يـد حكّام الوقـت، وكان يدعوهـم إلى الاصـلاح والتغيـير.

وكان يؤمـن بـأنّ الإصـلاح يجـب أن يبـدأ مـن الداخـل أي مـن النفـوس قبـل النصـوص، وأن الإنسـان يجـب أن يقـوم بإصـلاح نفسـه قبـل أن يحـاول إصـلاح الآخريـن والمجتمـع.

وكان يـرى أنّ الإصـلاح يتطلّـب الشـجاعة والإيـمان بـالله والثبـات عـلى الحـقّ، وكان يدعـو النـاس إلى الاسـتقامة والصـدق والعـدل والتسـامح.

وبالرغم من أنه كان يعلم أنه سيواجه الموت والتضحية في سبيل الإصلاح،" أصبحتُ ولِيَ ربٌّ فوقي، والنار أمامي والموت يطلبني والحساب محدقٌ بي، وأنا مُرتهنٌ بعملي، لا أجد ما أحبّ، ولا أدفع ما أكره، والأمور بيد غيري، فإن شاءَ عذّبني، وإن شاء عفا عنّي، فأيّ فقير أفقر منّي؟.

إلّا أنّـه كان يؤمـن بـأنّ هـذا هـو المصـير الطبيعـي لمـن يريـد الإصـلاح والتغيـير، وكان يتوقّـع أن يـأتي بعـده الإصـلاح والحريـة والعـدل والسـلام: "إنّـما خرجـت لطلـب الإصـلاح في أمّـة جدي وإني أريـد الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، وأرجـو أن يـرضى الله ربّي عنـي ويعـذرني عـما قضيـت فإنّـه هـو الـذي يقـضي ويحكـم وإليـه المصـير".

- "اللهم إنّي أعوذ بك من الضلالة والفقر والمرض وسوء الفتنة".

٨ بافور, ٣٣٣.

- "ليس لي غيرك رجوى ولا موجود سواك ليستعين به، وإن كان ذاك الذي بين يديَّ أهون من أن تخالط نار النار فأين الهروب من الموت، فليس بمحال".

تتضمّن هذه الأمثلة الاستعانة باللهَّ وحسن التوكّل عليه والاعتماد عليه في جميع الأمور، وتعكس أيضًا الثقة الكبيرة لدى الإمام الحسين ﷺ باللهَّ واعتقاده بأنَّ النجاة والفلاح يأتيان من الله. وأنَّ خطابه في تناصّ مع هدي الوحي والنبوة والتربية الخاصّة، ما تلوّن به خطابه من أساليب وتعابير، استدراجاً في التأثير وتسلسل حدّته بحسب الحاجة إليه بشحنة من الشخصية الذاتية المعروفة بالبينشخصيّة .

٢. بين الأسلوبيّة والسميائيّة في خطابه

تتميّز خطابات الإمام الحسين عليه السلام بالجانب الأسلوبي الذي يعكس قوّة الإلقاء والتأثير على النفوس. ومن بين الجوانب الأسلوبية المميزة في خطاباته عن الإصلاح:

أ-استعمال اللُّغة العربيّة الفصيحة والقوية: حيث كان الإمام الحسين عليه السلام يستعمل اللُّغة العربيّة الفصيحة والعذبة في خطاباته، وكان يعبّر عن أفكاره ورؤيته بأسلوب قويّ ومؤثّر.

ب-التركيز على العدل والحق: كان الإمام الحسين عليه السلام يؤكد على أهمية العدل والحق في خطاباته، وكان يدعو إلى إقامة العدل في المجتمع والدفاع عن الحقّ. ويتجلّى ذلك في مجمل أقوالِه في دراسةٍ إحصائيةٍ.

ج-استعمال التشبيهات والمجاز: كان الإمام الحسين ﷺ يستخدم التشبيهات والمجاز في خطاباته بطريقة فنيّة عفويّة تجعلها أكثر قوة وتأثيراً على النفوس.

د-التحدي والثبات: كان الإمام الحسين ﷺ يعبر عن تحديه وثباته في خطاباته، حيث كان يؤكّد أنه سيبقى مستقيماً على الحق رغم كل الصعاب والمشاكل التي يواجهها.

ه-الاهتمام بالجمهور: كان الإمام الحسين ﷺ يولي عنايةً كبيرةً بالجمهور، وكان يستعمل اللُّغة اليسيرة وعامّيّة عصره في بعض الأحيان للتّواصل مع النّاس بشكلٍ أفضل.

٣.أسلوبيّة المجاز

يستعمل الإمام الحسين﵇ في خطاباته الكثير من الأمثال والمجاز، وذلك للتعبير عن معانيه بشكل مجازي وجذّاب.

في ضوء استعمال الخطاب الشعريّ إذ يستعمل الإمام الحسين﵇ في خطاباته الكثير من الشعريّة، وفي ذلك دلالة على إبراز قوة اللُّغة وتأثيرها في النفوس، وكذلك لإبراز أهمية الشعر التعبيري في الكشف عن المشاعر والأفكار وطريقة عرضها. ثم يرتكز على استعمال الخطاب الديني لإيضاح أن مبادئ الإصلاح التي يدعو إليها تتجذّر في الدين الإسلامي، وأن هدفه النهائي هو رضى الله والتقرّب إليه.

فنجد أنّه استعمل خطابه مُوجّهًا إلى العواطف ومكامن الإيمان في القلب، إذ نجد فيها الكثير من المشاعر الصادقة والاستعطاف، وذلك للتأثير بالمشاعر والمواقف الإنسانية، وإيجاد التضامن والتعاون في سبيل تحقيق الإصلاح.

٤.سميائيّة الإصلاح في خطابه:

تعدّ سميائية الإصلاح من المفاهيم الحديثة التي بحثتها الدراسات الاجتماعيّة والعلوم الإنسانية في العقود الأخيرة. ويتمحور هذا المفهوم حول فكرة استعمال أدوات سميائية ورموزٍ لتحليل عملية الإصلاح وفهمه في المجتمعات.

وبشكل أكثر تفصيلاً، فإنّ سميائيّة الإصلاح تعتمد على فهمه كعملية تغيير في الرموز والعلامات المتبعة في المجتمع، وهو ما يسمح بتحسين الحياة الاجتماعية والتقليل من الظلم والاستبداد.

ويشير هذا المفهوم إلى أن الإصلاح يتمّ عن طريق تغيير المفاهيم وتعديلها والرموز المجتمعيّة السائدة، وذلك من خلال اعتماد المعاني والأسس الثقافيّة والدينيّة والسياسيّة، بما يتماشى مع المتطلّبات الاجتماعيّة والاقتصاديّة.

وعليه فإن سميائية الإصلاح تركّز على الدرس المفصّل للعلامات والرموز والأفكار المتّبعة في المجتمع، وتحليلها وتفسيرها واستعمالها أداةً لتحقيق التغيير والإصلاح في المجتمعات، ولا سيما أن الإمام الحسين ﵇ كان شخصيّةً إصلاحيّةً بامتياز، وكانت له رؤية واضحة للتغيير

والإصلاح في المجتمع الذي كان يعيش فيه.

ففي زمنه – كما هو معلوم – كانت الأوضاع الاجتماعية والسياسية في المجتمع الإسلامي في حالة سيّئة، وكان هناك فساد وظلم من قبل الحاكم الأمويّ يزيد بن معاوية، وكان الناس يعانون من الفقر والظلم والجهل.

فكان يتطلّع إلى إصلاحٍ شاملٍ، إذ حرص على أن يرفض التحيّز لأحدٍ من دون آخر، وكان يدعو إلى تحقيق العدالة بين النّاس، سواء كانوا عربًا أم غيرَ عرب.

٥ .سميائيّة التناص الدينيّ والإصلاح

لم تكن شخصيّة الإمام ﷺ بعيدة عن ثقافته، ومعارفه ، وما يملك من تربية دينيّة قد انعكست على مأثوراته ، وفق ما يتناسب مع معطيات بيئته ومجتمعه ، فكانت الثقافة الإسلامية في تناصٍّ واضح بحيث استند إلى كثير منها ؛"لأنَّ المُلك إنّما يحصل بالتغلّب ، وجمعُ القلوب وتأليفها إنّما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه" [٩] ، وذلك من قبيل الخطاب الديني الجامع، ذي التوحيد ولمّ الشمل، مصداقا لقول الله تعالى ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال ٦٣].

يتأتّى ذلك عبر التناص الدينيّ واستدعاء التراث، والمحافظة على الموروث بشحذ الهمّة ورفع المعنويات، وتحليل الرموز الواردة المتعلّقة بكلّ معطيات الأرض والدين والمجتمع والشعب، وإبراز جمالية النصّ، وتحميل المدلولات اللانصيّة، واللا لغويّة، خدمةً للدعوة إلى الإصلاح.

سادسًا : سميائيّة الخطاب وسرّ التأثير

ثمّة ربط في الحديث عن السميائية بين السرد والشعريّة في معرض تحليل الخطاب تجلو معالمها في أقوال الإمام ﷺ على الشكل الآتي :

١ .تحفيز الخطاب بسميائيّة السرد والسميائيّة الشعريّة

تتميّز الشعرية الحديثة في خطاب الإمام الحسين عليه السلام بأنّها تتجاوز حدود النصوص الشعريّة التقليديّة، فلا تلتزم بالمأثور لفظاً، بل روحًا، وتسعى إلى التعبير عن معانٍ متعدّدة وأفكار بعيدة ، بطريقة جديدة ومبتكرة. ومن خلال خطاباته . يمكن رصد

٩ ابن خلدون, مقدمة ابن خلدون ,١٨٨ .

هذا النوع من الشعريّة الحديثة بشكل واضح مثل الاستعارة والتشبيه والتكرار والاستنباط، وغيرها في سياق السرد التواصليّ، بهدف إيصال رسالته الإصلاحية بطريقة فطريّة عفوية فعّالة وجذّابة، إذْ فرض الموقف تقليص المحاجّة والاحتجاج بغرض الإقناع أمراً بعيداً، أمام شعرية العفوية والتأثير العاطفي الدينيّ منه والوجدانيّ.

وهذا ما يُطلق عليه الشعريّة التي تكوّن نظريّة الاتصال بعناصرها الستّة: المرسل والمرسل إليه والرسالة والسياق والشفرة وقناة الاتّصال. إذ يوجّه المرسِل رسالة إلى المرسَل إليه. ولكي تكون الرسالة فاعلة، فإنّها تقتضي سياقًا تُحيل إليه، كما تقتضي / شفرةً/ مشتركةً بين المرسِل والمرسَل إليه. ويولد كلّ عنصر من العناصر الستّة وظيفة لسانيّة مختلفة وهي الشعرية.[١٠] حيث يتجلّى السرد متوازنا مع السجع وحُسن العرض والجذب في انسجام ووئام من دون تناقض معنوي: " أيّها الناس نافِسوا في المكارم وسارعوا في المغانِم". وجاءت، في قوله، المقابلات الضّديّة اللفظية التي جعلت عدم الاستسلام للواقع يجعله يقوم بنقل الأمانة من عنقه إلى جمهوره محفّزًا في معرض الاستفهام المؤكّد للاستسلام بإثارة الشفقة التي أثارت دموع المؤمنين :"أصبحتُ ولِيَ ربٌّ فوقي، والنار أمامي والموت يطلبني والحساب محدقٌ بي، وأنا مُرتهنٌ بعملي، لا أجد ما أحبّ، ولا أدفع ما أكره، والأمور بيد غيري، فإن شاءَ عذّبني، وإن شاء عفا عنّي، فأيّ فقير أفقر منّي؟.

ويمكن الإشارة إلى بعض الأمثلة على الشعريّة الحديثة في خطابات الإمام الحسين ﷺ ، مثل: استعمال الاستعارة في وصف الموقف الذي يواجهه: فقد استعمل الإمام الحسين عليه السلام الاستعارة في وصف الظلم الذي يتعرّض له وأتباعه، حيث وصفه بأنّه "منزل بين جواد الجواد وجبان الوغي، وبين حرم الملك الأعلى وخبيث الدهر وسوء الختام"، وهي استعارة توحي بأنّ الإمام الحسين ﷺ يواجه موقفًا صعبًا محفوفًا بالمخاطر. يتمثّل في قوله "إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش" ، فكثيرا ما تأخذ لفظة "كبش" المتلقي مقولة "كبش محرقة" التي تحدّد مصير من يسير بالاتباع الأعمى من دون معرفة انقياده ، وإلى

١٠ ياكبسون, قضايا الشعرية, ترجمة. محمّد الولي و مبارك حنون, ط١ (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر, ١٩٨٨), ٥٧.

أين يؤدي به خنوعه للراعي. وفي قوله :"ألا إنّما جئت لأرى الحقّ وأمشي في طريق جدّي، وإنّما أريد أن أصلح في أمّة جدّي، وأريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر"

ما يثير الانتباه في خطاب الإمام ﷺ أنّ ابتكاراً تأويلياً آخرًا جديداً استخدمه كاتبه، إذ خرج على مألوفِ ثلاثيّةِ بيرس* المتعارفة، التي تجعل الصلة وثيقة بين المرسل والمرسَل إليه عبر المُرسَلة التي ترتبط -عادة- بالمرسَل إليه مباشرة، إلا أنّ مرسَلة الخطاب الحسيني ارتبطتْ بالمرسِل عينِه، في لفتةٍ إلى أنّ المرسِل يعتبر نفسه المرسَل إليه وأنّهما واحد، بمعنى أنّه هو المرسِل والمرسَل إليه ، وأنّه طبق الخطاب على نفسه قبل غيره ، وهذه ما يمكن تفسيره بصدق القدوة والمقتدي:

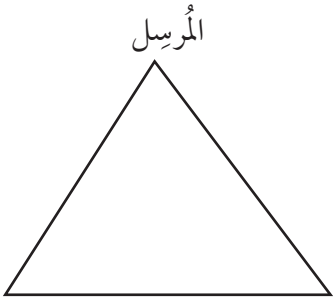

فجعل العلاقة بين المرسِل، الإمام الحكيم الذي يمثل المُواطن الصالح ، والمرسَل إليه المجتمع، والمرسلة ضرورة الإصلاح ونجاعته علاقة تساوٍ واتّحاد.

أما الاختلاف والتغاير، في المخالفة، فيكمنان في المرسلة التي وجّهها إلى المرسِل عينه، بدل أن اعتادَ عُرْفُ التحليل التأويلي على أنْ تكون المُرسَلة موجهةً إلى المرسَل إليه، وهذا ضربٌ من التورية المقنّعة التضمينيّة "البينشخصيّة"، التي تحمل إشارات الإيعاز وشعاراتِ الإصلاح والاعتدال، التي سنأتي على ذكرها مرتبطةً بسميائيّات متعدّدة حيث "أناهُ" المُخلصَة تمثِّل "أنا" الجماعة، وتمثّل "نحن" التضامن والتضافر. وبهذا فإنّ التركيز على الرسالة اللغويّة بحدّ ذاتها هو" الوظيفة الشعريّة للغة" [١١]. وبهذا جعل الإمام من نفسه القدوة والمثال، ليبدأ

١١ فاولر, النقد اللسانيّ ,١٦٨ .
❋ شارل س. بيرس فيلسوف وعالم رياضيات أميركي ولد عام ١٨٣٩ م هو أب البراغماتية العملانية .

بتطبيق مبادئِه الإصلاحيّة على نفسه أوّلاً قبل غيره، ليمثّل غيرَه ويتمثّل به الآخرون، هذا التمثّل لا يتأتّى لعاديّ ، ولا تنقاد لعابر فكرة ذي فكرة عابرة غير عامرة ، فتفقد إذاك رونق التأثير، وتأثير الرونق.

وممّا لا شكّ فيه أن الأثر البارز في قوّة تأثير الخطاب لسماعه من غير المؤمنين يجعل الفرد يشعر بقوة انجذاب وخشوع لغويّ من خلال إيمان راسخ صادق. والرائي من بعيد يأنس بسماعه ويطرب لمعانيه ويشعر بصدقه؛ لأنّ " تحليل الأنساق اللغويّة هي التي تعطي الفرصة لأنْ نحلّل كلّ نسق غير مرة" [١٢] في تأثير الخطاب.

٢ .السميائيّة والقوّة التأثيريّة

يُعد خطاب الإمام الحسين ﷺ بشكل عام، من أقوى الخطابات التي تأثّر بها الحضور والجمهور في تاريخ البشريّة بعد جدّه النبي محمّد ﷺ ، ووالده الإمام علي عليه السلام. أكثر ممّا بدا ذلك في الخطاب الذي تحدث فيه الإمامﷺ عن هدفه الرفيع من الثورة، وطعمه بالحديث عن الإصلاح وإقامة العدل والإنصاف. وقد جاء هذا الخطاب بأسلوب قوي وصريح، مستخدماً فيه الألفاظ الشديدة والصريحة التي تمتلك القدرة على إثارة العواطف والمشاعر لدى الجمهور.

من أمثلة هذه القوة اللغوية والتأثيرية في خطاب الإمام الحسينﷺ، يمكن الإشارة إلى عبارته "إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي وأريد أن آمرَ بالمعروف وأنهى عن المنكر"، فقد جاءت هذه العبارة بأسلوب مباشر وصريح، وتعبّر عن قناعة الإمام الحسينﷺ بما يقوم به، وعن نية صادقة في الإصلاح وإنصاف الناس، ما يجعلها تترك تأثيراً عميقاً في نفوس الحضور والجمهور.

١٢ لوسركل, عنف اللُّغة ,١٧٨ .

الخاتِمــة:

أشارت فلسفة الإصلاح السميائية إلى أن الإصلاح الفعلي يجب أن يبدأ من التحليل الدقيق للأنماط والرموز الثقافيّة التي تميّز المجتمع. وتؤمن السميائية بأن اللُّغة والرموز العامّة والرموز الثقافية تؤثّر في تشكيل الفهم الذي يحدّد تفاعلاتنا مع العالم المحيط بنا، ولذا، يجب تغيير هذه الرموز والأنماط والرموز الثقافيّة لتحقيق الإصلاح.

ولـذا، فـإنّ السـميائية تؤكّـد عـلى أنّ الإصـلاح يجـب أن يكـون شـاملاً ومتعـدّد الأبعـاد، ويشـمل التحـوّلات اللغويـة والثقافيـة والسياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة. وتعتمـد السـميائية عـلى التحليـل الدقيـق والاهتـمام بالتفاصيـل، وتؤمـن بـأنّ الإصـلاح لا يمكـن تحقيقـه بشـكلٍ فعـالٍ إلّا بعـد التحليـل الدقيـق والفهـم العميـق لأنـماط الثقافـة والتواصـل في المجتمـع.

وأن تتّحـد المرسـلة / الشّـفرة مـع شـخصية الملقـي والمتلقّي، المرسِـل والمرسـل إليـه في شـعريّة عفويّة صادقـة، وسرديـة أقـرب إلى العاميـة الشـعبية بتتويـج الظـلال الدينية لضـمان القـوة التأثيرية.

المصادر:

القرآن الكريم

ابـن خلـدون, عبـد الرحمـن. مقدمـة ابـن خلـدون. اعتنـاء ودراسـة احمـد الزعبـي. ط١. بـيروت: دار الأرقـم ابـن الأرقـم للطباعـة والنـشر والتوزيـع, ٢٠٠١.

الجامـع, معنـى إصـلاح في معجـم المعـاني. "معجـم المعـاني," د.ت.

https: / /www.almaany.com /ar /dict / ar-ar/ إصـلاح/ .

مؤسسـة الإمـام الصـادق ﷺ. موسـوعة أصحـاب الفقهـاء القـرن الهجـري الأول. قـم المقدسـة, د.ت.

بافـو, مـاري أن. النظريـات اللسـانية الكـبرى. ترجمـة محمّـد الـراضي. ط١. بـيروت: المنظمـة العربيّـة للترجمـة, ٢٠١٢.

فاولـر, روجـر. النقـد اللسـانيّ. ترجمـة عفـاف البطاينـة. بـيروت: المنظمـة العربيّـة للترجمـة, ٢٠١٢.

لـوسركل, جـان جـاك. عنـف اللُّغـة. ترجمـة محمّـد بـدوي. ط٢. بـيروت: مركـز دراسـات الوحـدة العربيّـة, ٢٠٠٦.

ويكيبيديا. "الحسين بن علي," د.ت.
https: / /ar.wikipedia.org /wiki / .الحسين_بن_علي

ياكبسـون. قضايـا الشـعرية. ترجمـة محمّـد الـولي و مبـارك حنـون. ط١. الـدار البيضـاء: دار توبقـال للنـشر, ١٩٨٨.

References:

Holy Quraan

Al-Jami, Mana islah fi Mu'jam al-Ma'ani. "Mu'jam al-Ma'ani," n.d.

Al-Qur'an Al-Karim

Bavo, Mari An. Al-Nazariyat al-Lisaniyat al-Kubra. Tarjamat Muhammad al-Radi. T1. Bayrut: Al-Munazamat al-'Arabiyat lil-Tarjamati, 2012.

Fawlir, Rujar. Al-Naqd al-Lisani. Tarjamat 'Afaf al-Bataiyana. Bayrut: Al-Munazamat al-'Arabiyat lil-Tarjamati, 2012.

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A5%D8%B5%D9%84%D8%A7%D8%AD/.

Ibn Khaldun, Abd al-Rahman. Muqaddimat Ibn Khaldun. I'tina' wa dirasat Ahmad al-Za'bi. T1. Bayrut: Dar al-Arqam ibn al-Arqam lil-Tiba'a wal-Nashr wal-Tawzi', 2001.

Lusarkil, Jan Jak. 'Unf al-Lughati. Tarjamat Muhammad Badawi. T2. Bayrut: Markaz Dirasat al-Wahda al-'Arabiyati, 2006.

Mu'asasat al-Imam al-Sadiq (alayhi al-salam). Mawsu'at ashab alfuqaha' alqarn alhijri al'awal. Qum almaqdsat, n.t.

Wikibidia. "Al-Husayn ibn 'Ali," n.d. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86_%D8%A8%D9%86_%D8%B9%D9%84%D9%8A.

Yakubson. Qadaya al-Shi'riyya. Tarjamat Muhammad al-Wali wa Mubarrak Hannun. T1. Al-Dar al-Bayda': Dar Tubqal lil-Nashr, 1988